ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2022) Vol (13) Issue (1)section(1): 122-149
https://doi.org/10.25130/jis.22.13.1.1.6

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية المجلات الأكاديمية العلمية

ISSN:2073-1159 *(Print)* *E-ISSN*: 2663-8800 *(Online)*
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq

ISJ

The Demons of Pre-Islamic Poets Authorization by Ibn Shahid Al-Andalusi (d. 426 A.H) in His Message Minions and Cyclones : An Analytical Study

Dr. Abdulhussein T. Muhammed
College of Basic Education / Sumer University -Iraq

Dr.Fatima Ali Wely♦
College of Arts / University of Samarra - Iraq.

KEY WORDS:
Analysis, text, message minions and cyclones.

ARTICLE HISTORY:
Received: 28 / 12 /2021
Accepted: 11 /1 / 2022
Available online: 15 /2 /2022

ABSTRACT

This brief study aims to examine the message of the Followers and Cyclones by Ibn Shahid Andalusian (Died on 426 H) take up the text of a dialogue by Ibn Shahid and his companion is the Jinn (Zuhair bin Namir) for the demons of the pre-Islamic poets Those he interviewed in succession, the dialogue of devil Imru al-Qais then they had a dialogue with devil Tarfa bin Al-Abd, then the third dialogue of the demon of the pre-Islamic poet Qais bin Al-Khatim, and at the end of each dialogue Ibn Shahid takes the license to excel from the followers of these great poets.

Therefore, the researchers dealt with these dialogues with technical analysis and the intention of the writer from conducting the dialogues on the tongue of the interlocutors leading to granting him a license to excel From the presence of these followers, to respond with it to his envious, haters and tyrants, thus, he has won in the arena of literature after he relied on the weapon of imagination, which built this literary position by creating this immortal literary work, which was considered a prominent landmark of our immortal Arabic literature.

The researchers affected that this approach be through two interrelated topics, the first is the presentation of the text and its study in terms of structure and style, standing on Verses, drawing the characters, analyzing their symbols, and linking all of this to the poet's biography and his artistic doctrine.

♦ *Corresponding author: E-mail*: fatima.ali@uosamarra.edu.iq

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2022) Vol (13) Issue (1)section(1): 122-149
https://doi.org/10.25130/jis.22.13.1.1.6

إجازة شياطين الشعراء الجاهليين لابن شُهيد الأندَلُسي(ت ٤٢٦هـ) في رسالته التوابع والزوابع – دراسة تحليلية

ا.د. عبد الحُسين طاهر محمد الربيعي
كلية التربية الأساسية / جامعة سومر _العراق.
ا.م.د. فاطمة علي ولي
كلية الآداب / جامعة سامراء – العراق.

الخلاصة: تهدفُ هذهِ الدراسةُ المُوجزةُ إلى معاينة رسالة (التوابع والزوابع) لابن شُهيد الأندَلُسي (ت ٤٢٦هـ) وتناولَ النصّ الخاص بحوار ابن شُهيد وصاحبه الجنيّ (زهير بن نمير) لشياطين الشعراء الجاهليين الذين حاورهم بالتعاقُب، حوار شيطان امرئ القيس لهما ثم حوار شيطان طرفة بن العبد، ثم الحوار الثالث لشيطان الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم، وفي نهاية كُلِّ حوار ينتزع ابن شُهيد الإجازة له بالتفوّق من تابعي هؤلاء الشعراء الكبار.

لذا تناول الباحثان هذه الحوارات بالتحليل الفنّي وقصدية الأديب من إجراء الحوارات على ألسنة المتحاورين، وصولاً إلى منحه إجازة التفوّق من لدن هؤلاء التابعين، ليردّ بها على حُسّادهِ ومُبْغضيه والطاعنين بفنّهِ وملكته الأدبية، وبهذا يكون قد انتصر في حَلبة الأدب بعد أنْ اتكأ على سلاح الخيال الذي بوّأه هذا المكانة الأدبية عبر إنشائه هذا العمل الأدبي الخالد الذي عُدَّ مَعْلَماً بارزاً من معالم أدبنا العربي الخالد.

وقد آثر الباحثان أن يكون هذا التناول عبر مبحثين مترابطين:

الأول: عرض النص ودراسته من حيث البنية والأسلوب، والثاني الوقوف على آليات رسم الشخصيات وتحليل رموزها وارتباطها كل ذلك بسيرة الشاعر ومذهبه الفني..

الكلمات الدالة: تحليل، النص، رسالة التوابع والزوابع.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ وأتمُّ التسليم على المصطفى الأمين، المبعوث رحمةً للعالمين، وعلى آلهِ الطاهرين المنتجبين، ورضيَ الله عن أصحابه الصالحين الذين جاهدوا معه في الله حقّ جهادِهِ، وما بدّلوا تبديلا.

وبعدُ:

فإنّ في تراثنا الأدبي ولاسيّما الأندلُسي منه، كنوزاً تنبثقُ من خيالات مُبدعيها وتتفتّقُ عن ضروبٍ من الإجادة والفن خلَّدت التراث الأدبي وقائليه.

وفي هذا البحث الموجز توجّه الباحثان إلى دراسة ما صنعه خيال الأديب ابن شُهيد الأندلُسي (ت ٤٢٦هـ) عبر قصته الخيالية المسماة بـ(رسالة التوابع والزوابع) بعد أنْ أُطلق عليها (شجرة الفاكهة) لما تتضمنه من عناصر الجمال والإمتاع.

وبعد إطلاعهما على القصة الأندلسية وقراءة فصولِها، وأسباب تأليفها وتأمل حواراتها، توجّها إلى تناول تحليل النص الخاص بحوار شياطين الشعراء الجاهليين الّذين حاورهم شيطان منشئ القصة وهو الجنّي (زهير بن نمير) الذي رافق الكاتب في رحلته الخيالية كُلِّها بعد أن حَثّه على المضيّ في الإبداع بعد التوقّف والإجبال.

جاءت هذه الدراسة الموجزة بمبحثين مترابطين:

الأول: معاينة النصّ المُجتزأ من القصة من حيثُ البنيةُ والأسلوبُ، والثاني: دراسة آليات تقديم الشخصية القصصية وتحليل رموزها.

وجاءت هذه المعاينة في ضوء البناء الفنّي لنصّ ابن شُهيد وأُسلوبهِ ولغته.

وجاء المبحث الثاني ليقف عند رسم الشخصية القصصية، إذ تم رسم هذه الشخصيات القصصية على وفق آليات، أبرزها الملامح أو السمات الخارجية كالهيأة وما يساند الهيئة كالفرس والسلاح والزّي، فضلاً عن السمات الباطنية على شاكلة الشجاعة والحلم والغضب وما إليها.

وقد يجري تقديم هذه الشخصية – شخصيات النصّ المُجتَزَأ – موضوع البحث– بالآخر. أي تقديم شخصية إمرئ القيس بوساطة شيطانه (عُتيبة بن نوفل) الذي ينشدُ قصائدَهُ ويؤدي حركاتِهِ بديلاً عنه، وتقديم شخصية طرفة بن العبد عبر جنّيه (عنترة بن العجلان)، ورسم شخصية قيس بن الخطيم بوساطة شيطانه (أبو الخطّار).

ثم تناول الباحثانِ تحليل رموز الشخصيات ومقصدية المنشئ ابن شهيد من اختيار هذه الأسماء أو الكُنى دون غيرها.

وسعينا – على وفق هذه المعاينة وهذا التأمل – إلى الكشف عن ارتباط هذه الرموز – الكنى والأسماء – بما استقرَّ في ذهن الكاتب الأندلسي (ابن شُهيد) من أفكار وتصورات حول

المُنجز الشعري لهؤلاء الشعراء الجاهليين الّذين حاورهم في أرض الجنّ بدلالة جنّيه (زهير بن نمير) ومساندته، أي: إنّ خيال ابن شُهيد أوصله إلى اختراع هذه الأسماء لصلتها الوطيدة بالأثر الأدبي لكلّ من أولئك الشعراء الذين يمثلون طليعة فحول الشعر الجاهلي.

وغنيٌ عن القول، أنّ باحثاً معاصراً سعى سعيناً وسبقنا إلى تفسير رموز هذه الشخصيات فلا نرى ضيراً من التنويه بجُهدِه والإفادة منه في موضعه من البحث كما سيأتي ذلك إن شاء الله تعالى.

وغَنِيٌ عن البيان أنَّ الباحثين قد عوّلا على قراءتهما هذا الأثر الأدبي النفيس وتحليل النص المجتزَأ منه، فضلاً عن تحليل العنوان بوصفه عَتَبة النصّ، وعدا هذه القراءة التأمُلية فإنّ الباحثين أفادا مما كتبه الدارسون القدماء والمحدثون حول متن هذه القصة الخيالية التي عزّ نظيرُها في الآداب العالمية، فضلاً عن أدبنا العربي.

وأخيراً فأننا أردنا أنْ نعرّفَ المتلقي بتفوّق الخطاب النثري الأندلُسي في مجال الخيال وقدرة نماذجه على التأثير بالمتلقي – أيّما تأثير – بما توافر فيه من عناصر الشعرية والفوز بالمجد الأدبي.

هذه غايتنا التي سعينا إليها (وأن ليسَ للإنسان الّا ما سعى).

الباحثان

التمهيد

١- الشاعر ابن شُهيد[١] – اسمه ونسبُه – تكوينه الثقافي – صلته بالسياسة – نهايته

هو أبو عامر أحمد بن أبي مروان بن عبد الملك بن مروان بن أحمد بن عبد الملك بن شُهيد، أشجعي وينتمي إلى الوضّاح الذي كان مع الضّحاك بن قيس الفهري في معركة مرج راهط الشهيرة.

وُلدَ بعاصمة الأندلُس سنة (٣٨٢هـ) في سِنيّ خلافة هشام بن الحكم المستنصر بن عبد الرحمن الناصر، أي في عهد الدولة العامرية، إذ كان الحاكم الفعلي للأندلس هو الحاجب المنصور الذي حجرَ على الخليفة هشام المؤيَّد الصغير السِّن، واستبدَّ بالحكم، وأحكم قبضته على الأندلُس بمساعدة أم الخليفة (صُبح)، فحكم البلاد وقهر منافسيه وتخلّص منهم واحداً واحداً في أساليبَ مختلفة بحنكةٍ ودهاء.

أما الأعداء الخارجيون فقد قهرهم، إذ انتصر في أكثر من خمسين غزوةً، وقد تلّقب بـ(المنصور) وأصبح الآمر الناهي بالأندلس.

وغَنِيٌّ عن البيان أنَّ والدَ ابن شُهيد قد استعمله المنصور والياً على الأجزاء الشرقية من البلاد أعواماً، بعدها أُقيلَ عن المدن الشرقية راضياً، فعاد غانماً موفورَ النعمة.

ولابن شُهيد صلّة وطيدة بعبد الملك المظفَّر بعد وفاة أبيه المنصور، إذ حكم البلاد بعد رحيل أبيه سنة (٣٩٢هـ) حتى إنّ الشاعر بلغَ رتبةً الوزارة عند الخليفة الجديد وكم كان يتوقُ ليكون كاتباً كي يحظى بلقب ذي الوزارتين، ولكن حِيلَ بينه وبين تحقيق هذه الغاية العظيمة، بسبب ثقلِ سَمْعِهِ وأنّى له ذلك؟ وهو نفسه يقول: «إذ لابدَّ للملك من كاتب مقبول الصورة تقعُ عليه عينُه، وأُذن ذكية تسمعُ منه حِسَّه»[٢].

وعلى أثر الصراعات السياسية زالت الدولة العامرية سنة (٣٩٩هـ)، ثم جاءت حقبة عصيبة أطلق عليها المؤرخون بـ(الفتنة المُبيرة)، إذ كان الحكم ينتقل بين الأمويين وبين العلويين (الحموديين).

وما نريد قوله: إنَّ وقوعَ هذه الفتنة وخراب قُرطبة قلب حياة ابن شُهيد من النعيم إلى الشقاء.

---

(١) عن ابن شُهيد وعصره، تُنظرُ المصادرُ والمراجعُ الآتية على سبيل الأمثلة: الجذوة: ١٢٤، الذخيرة: ١٦١/١/١، المُغرب في حلى المغرب: ٧٨/١، الذخيرة: ٢٠١/١٢، أعتاب الكتاب: ٧٤، المطمح: ١٦، المطرب: ١٧٤، بغية الملتمس: رقم: ٤٣٧، اليتيمة: ٣٨٢/١، الشذرات: ٢٣٠/٣، مُعْجَمُ الأدباء: ٢١٨/٢، تاريخ الأدب الأندلسي– عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس: ٢٧٠، ابن شُهيد الأندلسي حياته وأدبه، د. حازم عبد الله خضر، وغيرها.

(٢) الذخيرة، تحقيق: د. إحسان عباس: ق١، ج١: ١٩١.

وقد بكى مدينته المدمرة بقصائد شجيّة طافحة بالأسى واللوعة[١].

وفي أثر وقوع الفتنة على الشاعر يعبرّ الدكتور أحمد هيكل قائلاً: «ولم تستطع هذه الفتنة الضاربة على الأندَلُس، وعلى قرطبة بنوع خاص، أن تعقلَ لسانه أو تحطِّم قلمه...»[٢].

وبعدها مدح أمراء الدولة الحمودية في محاولة منه للاقتراب منهم ومحو ما عُرِفَ عنه من موالاته السابقة للأمويين، ولكنه وشيَ به فأودع السجن، ثم أصيب بداء عضال في السنتين الأخيرتين من حياته.

ورثى نفسَهُ بقصائد تُظهرُ فَرَقَهُ من الموت وفزعه من دُنُوِّ أجله، فندم على إسرافه في الملذات لاجئاً إلى عفو الله سبحانه وتعالى بعد أن تخيّلَ أنّه وصاحبُهُ داخل القبر ولا مخرج لهما منه، حتى وافاه الأجل سنة (٤٢٦هـ)[٣] بعد أن مرض – كما بيّنا آنفاً مرضاً أقْعَدَهُ في أيامه الأخيرة وكان سبب موته.

٢- رسالةُ التوابعِ والزوابع

التوابع جمع تابع وتابعة ومعناها: الجنّي والجنيّة يكونان مع الإنسان يتبعانه حيثما يذهب، والزوابع جمع زوبعة، اسم الشيطان، ويقال في الزوبعة شيطان مارد، وقد يطلقُ على رئيس الجنّ، فمنذ العنوان، الذي يُعدّ عتبة النصّ، انطلقت خيوط العجائبية التي رسم مسارها الأديب القدير ابن شُهيد.

لذا أطلقَ هذه التسمية، المفارقة لأي تسمية من تسميات المؤلفات الأخرى، أطلق على رسالته الخيالية متصوِّراً نفسه في رحلة مع جنّي يسميه (زهير بن نمير) يرحلان إلى أرض الجنِّ حيث يلتقي هناك بوساطة هذا الجنّي شياطين الشعراء الكبار وتوابع الكتاب المُجيدين، وحيوانات الجنّ.

وغَنيّ عن القول أنَّ هذه القصة الخيالية النفيسة وصل إلينا منها مجموعة فصول بوساطة ابن بسّام الشنتريني الذي ضمَّنها كتابَه القيمِّ (الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة) وقد تضمنت حواراتٍ ومناظراتٍ أجراها الكاتب على ألسنة شخصياته الذين كان أغلبهم شخصيات غير بشرية، شياطين أو جنّ أو توابع أو حيوانات الجن، وقد يَلحظُ المتلقي العجائبية المثيرة في اختراع أسماء شخصيات القصة غير البشرية وتشكلاتها السردية عبر الأحداث والمشاهد العجائبية هي الأخرى.

---

(١) ينظر الديوان: تحقيق: شارك بيلات، القصيدتان: ٦٤، ١٧٧.

(٢) الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الدكتور أحمد هيكل: ٣٣٧.

(٣) تنظر على سبيل المثال داليته التي أوصي أن تكتب على قبره مصدرةً بقطعة نثرية مؤثرة فيها تضرّعُ إلى الله جلَّ ذكره، الديوان: ٦، الدالية والرائية.

وبعد أن يحاور الكاتب الأندَلُسي شياطين الشعراء الكبار وتوابع الكتاب المبدعين ويُسمعهم نماذج من أشعاره وقطعهِ النثرية في الوصف وغيره فيبهرون لسماعها، ينتزع إعجابهم ويحملهم على منحه الشهادة بالتفوّق وقوة الملكة وسعةِ الخيال في الشعر والنثر.

وقد كتب الأديبُ رسالته هذه بعد أن كثرُ خصوُهُ وحسّادُه ومبغضوه الذي طعنوا في أعز ما يطمح إليه وهو المكانة الأدبية التي يبلغُ بها ما يصبو إليه من مجدٍ سياسي، فاتهموه بالانتحال وقلة الإبداع، وقد عبّر الاستاذ بطرس البستاني محقق متن الرسالة عن هذا الموضوع قائلاً: «فهؤلاء الخصوم والحُساد أقضوا مضجع ابن شُهيد، وكدّروا صفو حياته السياسية والاجتماعية، وأقلقوا حياته الأدبية باعتراضاتهم ومناقضاتهم، فشغلوا جانباً من شعرِهِ ورسائله، وحملوه على اصطناع النقد وتصنيف رسالة التوابع والزوابع»[١].

إنَّ وطأةَ أولئك المبغضين قد اشتدّت عليه، لاسيّما وأنَّ فيهم من أهل اللغة والبيان ممن لا يمكن دحضُ إمكاناته اللغوية على شاكلة اللغوي أبي القاسم الإفليلي الذي رفع لواء العداء لابن شُهيد، لذا عجز عن منازلة خصومه في أرض الواقع لكثرتهم وقوة حُججَهم، فلجأ إلى سلاح الخيال والبيان، إذ انبرى لهم في حلبة الأدب عبر هذه القصة الخيالية التي سميت (شجرة الفاكهة) ثم جاءت هذه التسمية العجائبية المثيرة (التوابع والزوابع).

مم تتألف الرسالة؟

تتألف من مقدّمة سمّاها صدر الرسالة تتبعها أربعة فصول مترابطة وفي المقدمة، خاطب صديقاً له يُدعى أبا بكر بن حزم، وهو الشخصية البشرية الثانية بعد الكاتب ابن شهيد، خاطبه لمَّا تساءلَ معجباً ببلاغة صديقه قائلاً: «كيف أُوتي الحُكمَ صبيّاً وهزّ بجذعِ نخلةِ الكلام فاسقُط عليه رُطَباً جَنَيّاً»[٢] فخاطبه ابن شُهيد مُكنيًّاً إيّاه: «للهِ أبا بكر ظنٌّ رميتَهُ فاصميتَ»[٣].

وفسرَّ ابن شُهيد في مطلع رسالته، هذا الأمر بأنّه كان قليل الاطلاع لكنّه ذو موهبة طبيعية تتمثل هذه الموهبة بجنّي تابع له يُلْهِمُهُ، وينفثُ الشعر على لسانه ويأتيه أنّى شاء، وثمةَ كلمةُ سرٍّ بينهما هي أن ينشد ابن شُهيد هذه الأبيات:

وإلى زُهَيْرُ الحُبِّ يا عزُّ أَنَّهُ ... إذا ذَكَرتْهُ الذَّاكِراتُ أَتاهَا

إذا جرتِ الأَفْواهُ يوْماً بذِكْرِهَا ... يُخَيَّلُ لِي أَنِّي أُقَبِّلُ فاهَا

فأَغْشَى دِيارَ الذَّاكِرِينَ وإن نَأَتْ ... أَجارِع مِن دارِي هَوىً لهَواها[٤]

---

(١) رسالة التوابع والزوابع: ٣٧ (مقدّمة المحقق).

(٢) المصدر نفسه: ٨٨.

(٣) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٤) رسالة التوابع والزوابع: ٩٠.

أما فصولُها، فبعد المقدّمة التي تضمنت إعجاب صديقه أبي بكر بشاعريته على صغر سنه، حيث عزاها إلى تابعه تُنجدُه وزابعه تؤيده، والتي جعلها مدخلاً أو مُسوِّغاً لرحلته إلى عالم الجنّ بصحبة فارس من فرسانِ الجنّ اتخذه تابعاً له هو (زهير بن نمير) بعدها يأتي الفصل الأول حيث يلتقي الكاتب بتوابع الشعراء أو شياطين الشعراء وبعد محاورات ومناظرات عجائبية في تَشَكُلات سردية عزَّ نظيرُها، ينتزع الكاتب إعجاب شياطين الشعراء فيجيزونه ويقروّن له بالإبداع والتفوّق وقوة الملكة والنبوغ، ومما سوّغ قبول المتلقي واستحسانه لهذه الحوارات المثيرة ومنح الإجازة لابن شُهيد من أفواه هؤلاء المتحاورين، هو قبول هذا المُعطى في المحمول المعرفي العربي الذي كان يفسِّر الإبداع والإلهام بأنّ شيطاناً أو جنِّياً هو الذي يُلهم الإنسان الشعر.

وفي الفصل الثاني التقى توابع الكتاب المُجيدين ويسميهم (الخطباء) وحاور في هذا اللقاء تابعي كُلٍّ من الجاحظ وعبد الحميد الكاتب وقرأ عليهما رسائله واستمعا إليه وانتزع إعجابهما وحملهما في نهاية هذا اللقاء على إجازته.

وفي الفصل الثالث يتذاكر مع الجنّي معاني الشعر ويورد نصوصاً للأفده الأودي، والنابغة، وأبي نواس، وأبي تمام، أما الفصل الرابع فيتألف من مشهدين: الأول يلتقي بقطيع من حُمُر الجنّ ويحتكمون إليه في قصيدتين. والثاني يلتقي بأوزَّه بيضاء شهلاء يسألُها ويحاورُها.

ويرى الباحثان أنّ التراث العربي من مصادر هذه القصّة الخيالية، إذ إنّ شعراء الجاهلية كانوا يعدّون الشياطين عوناً لهم على قول الشعر وأضحى هذه الأمر عادة متأصّلة في محمولهم المعرفي، ومما يؤيد هذا قولُ قائلهم أبي النجم العجلي[١].

إنّي وكُلُّ شاعرٍ من البشر شيطانُهُ أُنثى وشيطاني ذَكَرْ

فما رآني شاعرٌ إلّا استتر

لكن الإسلام قد هذّب تصوّر العرب عن الجنِّ فأقرَّ بوجودهم وأنّ لهم عالماً مثل عالمنا وأنّ فيهم الصالح والطالح ويروننا ولا نراهم، وقال جلَّ ذكرُهُ: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[٢].

ومن مصادر هذه الرسالة الخيالية التي جادت بها قريحة ابن شُهيد الأندلُسي، حادثة الإسراء والمعراج التي ثبتت صحتها في القرآن الكريم والسُّنة النبوية المطهّرة.

سبب تأليفها:

اما سبب تأليف هذه الرسالة المُدهشة فيُلخصه الدكتور إحسان عباس قائلاً: «وكانَ أشدّ ما يُغيظ ابن شُهيد إلصاق العيب بإنشائه وشعرِهِ؛ لذلك صبَّ سوط عذاب على ابي بكر

(١) ديوان أبي النجم العُجلي، شرح: محمد أديب عبدالواحد: ١٦١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

المعروف بالشمياط؛ لأنّه زَعَمَ أنَّ ابن شُهيد ينتَحِلُ ما لغيرِه، وتعقّب ابن الإفليلي أحد معلمي اللغة في قُرطبة بشدّة، وتكلّم به كلما سنحت الفرصة وبسببه جرَّد قَلَمَهُ لكتابة رسالة التوابع والزوابع، وهاجم من أجله طبقة المعلمين جملةً وشدّةً، فمما قالَه فيهم: «وقومٌ من المعلمين بقرطبتنا ممن أتى على أجزاءٍ من النحو، وحفظ كلمات في اللغة يحنّون على أكباد غليظة، وقلوبٍ كقلوب البعران، ويرجعون إلى فطنٍ حَمئةٍ وأذهانٍ صَدِئة»[١].

فابن شُهيد لم يَنَلْ من علماء عصره وأدبائِه إلّا الاتّهام والتجريح، على الرغم من كونِه نابغة عصرِه في الأدب – بالمعنى الذي يَفهمُهُ هو، لذا ثأرَ لنفسِهِ راداً على أعدائه بسلاح الخيال، إرضاءً لغرور نفسِه التي لم تُعطَ حقَّها، فاخترعَ شياطين للشعراء المشهورين، وتوابعَ للأدباء النابهين، يُسمِعُهمُ من شعرِه ونثرِه وينتزع منهم شهادتِهم واعترافاتِهم له بالتفوّق، وقوة المَلكة، فنازلَ مَن نالوا منهُ وهزمهم هزيمةً مُنكرةً في حلبة الأدب بعجائبية عنوانه وأسماء شخصياته وكُناهم، وفاعلية حواراته المُدهشة وحجاجه المثير، فسَخِر منهم سخريةً لاذعةً وافقت غروره وإعجابه بنفسه[٢].

وقبل أن يدخل الباحثان صُلبَ الموضوع ويشرعان في تحليل النص المُجتزَأ من الرسالة المتضمن إجازة شياطين الشعراء الجاهليين لابن شُهيد الأندَلُسي، آثرا أنْ يُشيرا، بإيجاز شديد، إلى أهمية الرسالة وقيمتها الأدبية، إذ عُدَّت بكراً في مجال الرسائل الأدبية الخيالية، وتبدو قيمتُها من حيث أسلوبُها الأدبي المشرق الذي تضمن ضروباً من المزج بين الشعر والنثر بأسلوبٍ قصصي أخّاذ تضمّنَ الحوارات العجائبية المُدهشة والمساجلة واستنطاق حيوان الجن، والاستدراج وانتقاء النصوص المفضية إلى نتائج منطقية تقود الباحث إلى المرمى الذي قصدَه الأديب.

وتكمن أهميتها النقدية في أنَّ نزعات قد استقوت في القرن الخامس الهجري وحاولت إثبات البراعة والتفوّق لأهل الأندَلُس وتحقيق الذات بعدَ أنْ واجهوا من المشرق ازدراءً وتهويناً وانكاراً لمكانتهم وبراعتهم.

وثمةَ أخذ وردّ حول تاريخ كتابة هذا العمل الأدبي الذي حمل ابتكاراً لافتاً، وهل اطّلع صاحبها على رسالة الغفران للمعري؟ ومنهم من رأى أنَّ كلا الشاعرين أخذ من أصول واحدة، وانّ فكرة الشياطين وردت عند بديع الزمان الهمداني (ت ٣٩٨هـ) في مقاماته الإبليسية، ومنهم استمدّ ابن شُهيد مباشرةً، وقد ناقشت بنت الشاطيء رسالة الغفران وثبت أنّ تاريخ تأليفها (٤٢٤هـ) على حين أنّ الدارسين رجّحوا أنّ تأليف التوابع والزوابع بين عامي (٤١٤– ٤١٥هـ) مما ينفي احتمال تأثر ابن شُهيد بالمعري بل ربما كان المعرّي هو المتأثر بها.

---

(١) تاريخ الأدب الأندلُسي – عصر سيادة قرطبة: ٢٨٢، وتنظر: الذخيرة: ١/١/٢٠٥.

(٢) يُنظر: الأدب العربي في الأندلُس – تطوّرهُ – موضوعاتُه – أشهر أعلامه، علي محمد سلامة: ٤٩٤.

تحليل النص – البنية والأسلوب

١ – اللقاء مع شيطان امرئ القيس:

«تذاكرتُ يوماً مع زُهير بن نُمير أخبار الخُطباء والشعراء، وما كان يألفُهم من التوابع والزوابع، وقلتُ: هل حيلةٌ في لقاء من اتفق منهم؟ قال: حتى أستأذن شيخنا. وطار عنّي ثمَّ انصرف كلمحٍ بالبصر، وقد أُذن له، فقال: حُلَّ على متن الجوادِ. فصرنا عليهِ؛ وسار بنا كالطائرِ يجتابُ الجوَّ فالجوِّ، ويقطعُ الدوَّ فالدوِّ، حتى التمحتُ أرضاً لا كأرضنا، وشارفتُ جوّاً لا كجوّنا، متفرّع الشجر، عَطِرَ الزَّهَر؛ فقال لي: حَلَلتَ أرضَ الجنِّ أبا عامر، فبمَن تُريدُ أن نبدأ؟ قلتُ: الخطباءُ أولى بالتقديم، لكنّي إلى الشعراء أشوق. قال: فَمَنْ تريدُ منهم؟ قلتُ: صاحبَ امرئ القيس. فأمالَ العنانِ إلى وادٍ من الأودية ذي دوحٍ تتكسَّرُ أشجارُه، وتترنمُ أطيارُه، فَصَاحَ: يا عُتيبةُ بن نوفل، بسقط اللّوى فَحَومَل، ويوم دارةِ جُلجُل، ألا ما عرضتَ علينا وجهك، وأنشدتنا من شعرِك، وسمعت من الإنسي، وعرَّفتنا كيف إجازتُك له! فَظَهَرَ لنا فارسٌ على فرسٍ شقراء كأنها تلتهبُ، فقال: حيّاك الله يا زهير، وحيّا صاحبك: أهذا فتاهُم؟ قلتُ: هو هذا، وأيّ جمرةٍ يا عتيبة! فقالَ لي: أنشدْ، فقلتُ: السيّد أولى بالإنشاد، فتطامَحَ طَرْفُهُ، واهتزَّ عِطفُهُ، وقبضَ عنانَ الشقراء وضربها بالسوط، فسمت تُحضِرُ طُولاً عنّا، وكرَّ فاستقبلنا بالصَّعدةِ هازاً لها، ثم ركزها وجَعَلَ يُنشد:

سَمَا لكَ شوقٌ بعدما كان أقصَرَا[١]

حتى أكمَلها ثم قال لي: أنشِدْ، فَهَمَمْتُ بالحَيْصَة[٢]، ثم اشتدَّتْ قُوى نفسي وأنشدتُ:

شَجَتْهُ مَغانٍ من سُليمى وأدْؤرُ[٣]

حتى انتهيتُ فيها إلى قولي:

ومِن قُبّةٍ لا يُدركُ الطَّرفُ رأسَها،	**تَزِلُّ بها ريحُ الصَّبا فتحدَّرُ**
تكلّفتُها والليلُ قد جاش بَحرُهُ،	**وقد جُعِلت أمواجُهُ تتكسَّرُ**
ومن تحت حضني أبيضٌ ذو سفاسقٍ،	**وفي الكفِّ من عسّالةِ الخطّ أسمرُ**
هُما صاحباي من لدُنْ كنتُ يافعاً،	**مُقِيلانِ من جَدِّ الفتى حين يَعْثَرُ**

---

(١) مطلع قصيدة مشهورة لأمرئ القيس، قالها وهو ذاهبٌ إلى بلاد الروم.

وتمام البيت: وحلّت سُلمي وادِ قرٍّ فعرعرا، انظر الديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف، مصر، ط٥: ٥٦.

(٢) الحيصة: الانهزام والهرب.

(٣) الديوان تحقيق شارل بيلا: ٥٦–٥٨.

المغاني: المنازل، أدؤر: جمع دار.

فذا جدولٌ في الغمدِ تُسقى به المنى، وذا غُصُنٌ في الكفِّ يُجنى فيثْمرُ

فلما انتهيتُ تأملني عُتيبةُ ثم قال: أذهبْ فقد أجزتُك. وغاب عنّا.»[١]

النصُّ يشمل جُزءاً من الرحلة الخيالية التي نوهنا بها في مطلع البحث، هذه الرحلة قام بها منشئ النصّ مع جنّيه زهير بن نمير للقاء شيطان امرئ القيس عُتيبه بن نوفل، كي يعرض عليه ابن شُهيد انتاجه الشعري لينالَ منه القبول ويمنحه الإجازة.

هذه فكرة النصّ المدون آنفاً، ولكن ماذا يلحظ الباحثان في هذا البناء الفني الذي صِيغت به القصةُ الخيالية، وما جماليات أُسلوبِها؟

لاشك أنّ العقدة الرئيسة في القصة والتي سوّغت لابن شُهيد أن يمضي في رحلته الخيالية، هي لقاؤه مع جنّيه زهير بن نمير الذي تمَّ فيه إعادة ذكريات من (التوابع والزوابع) ومن هنا انطلقت الأحداث المثيرة، ثم أتاحت هذه البداية لابن شُهيد أن ينسج قصته لرغبة في نفسه تتمثل في شوقه للقاء من اتفق من الشعراء والخطباء.

ونفهم من هذا الحوار مع الجنّي زهير بن نمير أن شخصية ابن شُهيد – في نظره هو – محط إعجاب الإنس والجن ومما يعزز هذا الرصد قوله لزهير بن نمير «وقلت له: بأبي أنتَ! مَن أنتَ؟ قال: أنا زهير بن نمير من أشجع الجنّ، فقلت وما الذي حداك إلى التصوّر لي؟ فقال: هوىً فيك ورغبةٌ في اصطفائك، قلت: أهلاً بك أيّها الوجه الوضّاح، صادفت قلباً إليك مقلوباً وهوى نحوك مجنوناً»[٢].

وهذا النص أيضاً يدعونا إلى التأمل في ذات ابن شُهيد التي ما انفكّ يُعلي من شأنها في محاولة مواجهة الاغتراب العميق وهو بين الناس الذي يبغضونه ويحقدون عليه، لذا وجد الراحة النفسية في التوجّه إلى عالم خيالي بصحبة صديق جنّي ينصاع لأمره ويرافقه ويحقق رغباته الأدبية الخيالية[٣].

بعدها جرّه الاستدعاء إلى أنْ يبدأ شيطان أمرئ القيس بعد أن سمع من زهير هذا التخيير الواسع «قال: فمن تُريدُ منهم؟».

وغنيّ عن البيان أنّ الشخصية البشرية ابن شُهيد مثّل البطل في أغلب أدوار هذه الرحلة الخيالية، بينما ظلّت شخصية زهير الشخصية غير البشرية، ظلاّ لشخصية ابن شهيد الرئيسة، إذ

---

(١) رسالة التوابع والزوابع.

(٢) رسالة التوابع والزوابع: ٨٩.

(٣) يُنظر: العجائبية وتشكلها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، ومقامات ركن الدين الوهراني: ١٣٩.

رافقته أينما يتوجّه بعد استشارة الشخصية الظلّ والاستماع إلى تعريفها أو تقديمها وهو تقديم بالآخر – كما سنرى – في مورد الآليات، أي آليات تقديم الشخصيات في هذه القصة الخيالية.

ولقد أغنت شخصية زهير مقدمة القصة عبر الحوار المكثّف الذي دار بينه وبين المنشئ وهذا الحوار نفهمه بدلالة عبارة (تذاكرتُ يوماً مع زهير) ومفردة (تذاكرت) توحي بتناول التراث لما تكتنزه المذاكرة من مضامين التداعي المرتبطة بالتراث (أخبار الخطباء والشعراء...).

وفي الحوار نستشفُّ السلوك المهذَّب للكاتب الأندَلُسي وتواضَعه، وكلُّ هذا مرتبط بوقار العُلماء المكتسب من التربية والاطلاع، وربما كان لمجالسة الأمراء وذوي الشأن أثرٌ في ذلك، والسلوك يُظهر في التعبير؛ لأنَّ الإنسان ابن بيئته شاءَ أم أبى؟

وتدلنا العبارة التي ساقها الكاتب على لسان زهير (حتى استأذن شيخنا) وهذا يدل على إجلال الشيوخ وإعلاء شأن العلم وعلى التهذيب والنمط الحضاري الذي برز في التعبير.

وشخصية الشيخ (المستأذن منه) هي الشخصية الثالثة التي جعلها ابن شُهيد جواز مرور إلى وادِ الجنّ (وادي عبقر)، وقد أُشيرَ إلى هذه الشخصية مرة واحدة وانتهى دورها.

ويُذهلُ المتأملُ لهذه القصة الخيالية من دقة انتقاء الألفاظ الموائمة للسياق والأحداث والحوارات التي تجذب النفس أيّما جذبٍ لمتابعة الأحداث والحوارات بشغف مع غير قليل من البساطة والوضوح، وهذه هي أبرز عناصر شعرية هذا النصّ النثري الأندلُسي فعلى سبيل الأمثلة لا الحصر نتأمل عبارة (حُلَّ على ظهر الجواد) فمفردة حُلَّ أكثر شعرية وحضارية من الفعل الأمر (امتطِ) ولا يخلو من انسيابية ورشاقة خلافاً لمفردة (امتطِ) المتنافرة الحروف وغير الملائمة للبيئة الأندلُسية فضلاً عن أن مفردة (حُلَّ) تعطي الصورة المتخيلة في الذهن عن ذلك الفارس الذي تعلوه الهيبة والوقار وهو يتأهب لاعتلاء الجواد[1].

ونلاحظ دقة الكاتب في أكثر عبارات النصّ، فنجد مثلاً عبارة (سار بنا) وهي عبارة تلائم الجواد أفصحُ واقدرُ على التعبير من (حلَّق) وكذلك لفظة (التمحتُ) وهي أكثر ملائمة للمقام الذي هما فيه؛ لأنّ المشاهد الجوية (تُلمح) ولا تُشاهد جزئياتها، ومن هنا نميل إلى تأثر ابن شُهيد بأجواء الرحلة النبوية المقدّسة (الإسراء والمعراج) في الانطلاق وعجائبية المشاهد والمساجلات التي حصلت بين ابن شُهيد وشياطين الشعراء، وقد نوهنا بأن المسوّغ الأكبر لقبول هذا التوجّه هو ما كان مقبولاً في التوجه الأسطوري العربي من أن لكلِّ شاعرٍ شيطاناً يوحي إليه الشعر.

(1) ينظر: تحليل نص في رسالة التوابع والزوابع (إجازة تابع أمرئ القيس لابن شهيد): ١٠٢.

ويتابعُ الباحثان هذا الحوار العميق المساق في جوٍّ من الوقار واحترام الآخر ما يعكس ما كانت عليه الشخصية الأندلُسية من تحضّرٍ وتهذيب، فبعد أن قال له (فبمن تريد أن نبدأ) وهو تخيير واسع واحترام متبادل، قال له الكاتب: (الخطباء أولى بالتقديم لكنّي إلى الشعر أشوق) وهذا يؤكد مرجعية الكاتب المشرقية، إذ كان العرب قبل الإسلام تُجِلُّ الخطيب أيّما إجلال، لكنّ للشاعر عندهم منزلةً ما بعدها منزلة ويحتفون بولادة شاعر عندهم، وكما هو معروف، ولنلحظ طلبه لشيطان أمرئ القيس الذي حمل التهذيب والإباء معاً، ففي قوله لشيطان أمرئ القيس (السيّد أولى بالإنشاد) يحمل إعلاء شأن الشعر الذي يمثله أمرؤ القيس الذي عرف عنه مكانته السامية وهو (أول من أوقف واستوقف وبكى وأبكى مَن حوله)، فضلاً عن أنّ هذه توحي بنزوع امرئ القيس نحو القمّة، على أن من يحاور سيداً فهو السيد أيضاً، ثم أنه خصّ امرأ القيس مراعاة للذوق النقدي أولاً، ولانطباعه عن الشاعر وانتاجه الفني ثانياً.

ونلحظ تساؤل زهير عن المكانة التي تُمنح لابن شُهيد: «وأيُّ جمرةٍ يا عُتيبة؟» وبهذا التساؤل تنتهي مهمة زهير ليلقى ابن شُهيد عُتيبة هذا اللقاء المثير إذ طلب عتيبة من ابن شُهيد الإنشاد، لكن ابن شُهيد بالغ في تواضعه حين قال: (السيد أولى بالانشاد) معترفاً بهذه السيادة المتَعارف عليها في الموروث النقدي، فضلاً عن أنّه يُريد أن يُعْلِمَه أنَّ الأندَلُسيين منشدون إلى تراثهم سائرون في نهج الإبداع الذي سلكه رموز الشعر الذي كان في طليعهم امرؤ القيس[١].

ويظهر أن شيطان أمرئ القيس عندما سَمِع تواضع الشاعر الأندلسي واعلاءَهُ للقدرة الفنية التي بلغها أمرؤ القيس، فَرِح وانتشئ وأظهر حركاتِ التفاخر والخُيلاء والعُجُب، (فتطامحَ طرفُه) ويعلل أحد الباحثين ذلك بان هذه العبارة تمثل نظرة الكبار الذين يأنفون من انحاء الراس لمن يحاورون، وقوله (واهتزّ عِطْفُه) تشير إلى هيبة الموقف وانفعاله به وقد اتقن ابن شُهيد انتقاء مفرداته المتساوقة مع الحدث المُدهش والمُشَوِّق، فلنتأملْ مفردة (سَمَتْ) في وصفه لفرس عتيبة ولعلّها توافق ميل ابن شُهيد للسموّ والعلو الذي تلحظ ميله إليه في عموم انتاجه الأدبي[٢].

وعلى صعيد الصور الجزئية المكونة لكلّية القصة التي يمثلها هذا اللقاء المثير مع شيطان امرئ القيس، نلحظ هذا الترابط بين تلك الأجزاء والتسلسل المؤدي إلى نهاية المشاهد والأحداث، في انسيابية تُثير العجب، فضلاً عن جمال الصياغات وروعة الأُسلوب.

(١) تحليل نص من رسالة التوابع والزوابع: ١٠٥.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس: ٣٠٠.

٢- اللقاء مع شيطان طرفه[١]

«فقال لي زُهير: مَن تُريدُ بعدُ؟ قلتُ: صاحب طرفة. فَجَزعنا وادي عُتيبة، وركضنا حتى انتهينا إلى غيضةٍ شجرُها شجران: سامٍ[٢] يفوحُ بهاراً[٣]، وشحر[٤] يعبق هندياً وغاراً. فرأينا عيناً معينةً[٥] تسيلُ، ويدُورُ ماؤها فلكياً ولا يحول، فصاحَ به زهير: يا عنترَ بن العجلان، حَلَّ بك زهيرٌ وصاحبُه، فبخَولة، وما قطَعَت معها من ليلة، إلّا ما عرضت وجهك لنا! فبدا إلينا راكبٌ جميلُ الوجه، قد توشَّح السيف، واشتملَ عليه كساء خِزّ، وبيده خطِّيّ، فقال: مرحباً بكُما! واستنشدني فقلتُ: الزعيمُ أولى بالإنشاد؛ فأنشد:

لِسُعدى بِحِزَّانِ الشُّريف طُلُول[٦]

حتى أكملها، فأنشدتُه من قصيدةٍ:

أمِن رسمِ دارٍ بالعقيقِ مُحِيلِ

حتى انتهيتُ إلى قولي:

ولمَّا هَبَطنا الغيثُ[٧] تُذعرُ وحَشُهُ ... على كُلِّ خوَّار[٨] العنانِ أسيلِ

وثارت بناتُ الأعوجيّاتِ[٩] بالضُّحى ... أبابِيلَ[١٠]، من أعطافِ[١١] غير مُسوَّمةً[١٣] نعتدُّها[١٤] من خِيارها، ... لِطردِ قنيصٍ، أو لطردِ رعيلِ

إذا ما تغنّى الصَّحبُ فوقَ متونِها ... ضُحيناً، أجابت تحتهم بصهيلِ

تدوسُ بها أبكارَ نور كأنَّهُ ... رِداءَ عروسٍ أُوذنتْ بحليلِ

---

(١) راجع: رسالة الزوابع والتوابع: ٩٣- ٩٦.

(٢) سام: الخيزران.

(٣) بهار:

(٤) الشحر أو الشحير: اسم شجر.

(٥) معينة: ظاهرة، جارية على وجه الأرض.

(٦) تمام البيت: تلوحُ وأدنى عهدهنَّ محيلُ، أنظر ديوان الشاعر تحقيق، شارل بيلا: ١٣٣-١٣٤.

(٧) الغيث: أي النبات المسبب عن الغيث، مجاز مرسل.

(٨) خوار العنان: كناية: أي فرس لين العطف.

(٩) الأعوجيات: أي الخيول الكريمة، منسوبة إلى أعوج، فرس لبني هلال مشهور.

(١٠) أبابيل: متفرقة فرقاً، جمع لا مفرد له.

(١١) الأعطاف: جمع عِطف بالكسر، وهو قارعة الطريق.

(١٢)الوبيل: المرعى الوخيم.

(١٣) المسومة: أي المعلمة لعلامات الغزو.

(١٤) نعتدها: أي: نعدّها.

رَمينا بها عُرْضَ[١] الصوار[٢] فأقعصت[٣] أغنَّ[٤] قَتلناهُ بغيرِ قتيلِ
وبادر أصحابي النزول، فأقبلَتْ كراديسُ من غضّ الشِّواء نشيلِ
نُمسِّحُ بالحوذانِ[٥] مِنهُ أكُفَّنا، إذا ما اقتنصنا منه غيرَ قليلِ
فقُلنا لساقِيها: أدرها سُلافةً شَمُولاً[٦]، ومِن عينيك صِرفَ شمولِ
فقام بكأسيه مطيعاً لأمرِنا، يميلُ به الإدلال كُلَّ مَميلِ
وشَعشَعَ راحيه، فما زال مائلاً برأسِ كريمٍ منهُمُ وتليلِ
إلى أن ثناهُم راكدينَ، لما احتسوا، خليعينَ من بطش وفضل عُقولِ
نشاوى على الزَّهراء، صرعى كأنَّهم أساطينُ قصرٍ، أو جُذُوعُ نخيلِ

فَصَاحَ عنترٌ: لله أنتَ! إذهب فإنَّك مُجازٌ. وغاب عنّا. ثم مِلنا عنه».

تحليل البنية والأسلوب:

إنَّ اتخاذ الكاتب اللقاء بامرئ القيس منطلقاً وبداية للقاءاتِهِ بالشعراء في عالمه الخيالي، له دلالة خاصة ترتبط بما عُرف عن امرئ القيس من مكانة أدبية في الشعر العربي وفي الموروث النقدي، ثم طلب الشاعر من تابعه زهير أن يلتقيا بصاحب طرفه بن العبد، وهو من شعراء الطبقة الأولى ومن الذين أولاهم النقد الأدبي أهمية خاصة لقدرته الفنية العالية، لذلك قال: «فقال لي زهير مَن تريد بعد؟ قلت صاحبَ طَرَفة» إذن رغبة الكاتب الجامحة متوجّهٌ إلى لقاء طرفه بعد (السيّد) وعنى به إمرئ القيس، وقد اخترع الكاتب القدير اسماً فنّياً لجنّي طرفة، إذ سمّاه (عنترة بن عجلان)، وقبل أن يلتقي الراوي (المنشئ) شيطان طرفه بن العبد، هيّأ لنا أجواءً ومشاهدَ لها صِلةٌ بما عبّر عنه الشاعر الجاهلي في شعره، فالركض نحو الفيفة التي شجرها نوعان: (سامٍ يفوحُ بهاراً، وشحراً يعبق هندياً وغاراً) ثم يُصيح زهير (يا عنترة بن عجلان، حلَّ بكَ زهير وصاحبُهُ) بعد أن يُقسم عليه بـ(خولة) وهو الأسم الأثير عند الشاعر الجاهلي طرفة ثم بدأ معلقته بذكر أطلال خولة قائلاً:

---

(١) العُرض: الجانب.

(٢) الصّوار: القطيع من البقر الوحشي.

(٣) اقصعت: قتلت.

(٤) الظبي يخرج صوته من خياشيمه.

(٥) الحوذان: نبات نَورُه أصفر

(٦) الشمول: الخمر، أو الباردة منها

لخولة أطلال ببرقة ثمهدِ تلوح كباقي الوشمِ في ظاهر اليدِ[1]

وبهذا القَسَمِ يطلبُ منه الظهور (ألا ما عرضتَ وجهك لنا) ولمّا كان وطيدَ الصلة بمرجعيته الأدبية، لذا انطلقت حواراته من سعة معرفته بأخبار الشعراء وعمق قراءته لآثارهم الفنية لذا استند تقديم هذه الشخصية على الوصف المتكئ على ما رسخ في ذهنه من شخصية الشاعر الفنية والواقعية فهو (الفتى القتيل) لذا جاء التقديم (فبدا إلينا راكب جميل الوجه، قد توشَّح بالسيف، واشتمل عليه كساء خزّ وبيده خطي) وهذا الرسم المتقن لشخصية الشاعر – كما بيّناه – تكلفت به بنية لغوية وأُسلوب مكين، أتاح لابن شُهيد أن يمضي به عبر فصولهِ المترابطة ليقدِّم لنا هذا العمل الأدبي المائز.

وعَبرَ نصّ الكاتب على لسان عنترة بن العجلان: «فقال مرحباً بكما! واستنشدني، فقلت: الزعيم أولى بالإنشاد، فأنشدَ:

لِسُعدى بِحِزَّانِ الشُّريف طُلُول

حتى أكملها، فأنشدتُه من قصيدةٍ:

أمِن رسمِ دارٍ بالعقيقِ مُحِيلُ

نفهم من كلِّ هذا اعتداد الكاتب بنفسه اعتداداً كبيراً في هدي (فسلِّم علينا) و (واستنشدني) ونلحظُ عبارته مع امرئ القيس: السيد أولى بالإنشاد، وهنا مع شيطان طرفه، الزعيم أولى بالإنشاد، والدلالتان ليستا متشابهتين، فالسيِّد التي أطلقها على امرئ القيس مفردة شديدة الصلة بواقع الشاعر قبليّاً، وفنّياً، قبلياً هو الأميرُ وهو (الملك الضليل) كما عبّر عنه دارسوه القدماء، وفنياً هو أمير الشعراء وهو «أول من وقف واستوقف وبكى وأبكى مَنْ معه» لذلك فهو السيد المطاع، ولعلَّ هذا ما دفع ابن شُهيد ليتظاهر أمامه بالتزعزع «فهممتُ بالحيصة ثم اشتدت قوى نفسي» بيد أنَّهُ مع تابع طرفه يقول: «الزعيم أولى بالإنشاد» وهذه المفردة تحمل دلالة أكثر اتصالاً بحياة طرفة ومذهبه الفني، فالزعامة تحمل معاني الكفالة والضمان، فالزعيم إذن هو الكفيل والضامن والمفردة أليق بطرفة وفنه الشعري وعلى صعيد بنية العبارات والأسلوب الذي مُنحتْ بوساطته الإجازة، فعبارة منح الإجازة على لسان تابع امرئ القيس: «فلما انتهيت تأملني عتيبة ثم قال: أذهب فقد أجزتك وغاب عنّا» أما ما قاله الكاتب في هذا الغرض حكاية عن شيطان طرفه: «فصاحَ عنترة: لله أنت أذهب فإنّك مجاز وغاب عنّا».

التعبيران متشابها المغزى، لكن عبقرية الكاتب الأندلسي جعلته يتصرّف ببنية الكلام كسراً لنمطيتهِ، فثمة عبارتان (تأملني عتيبة) و (لله أنت) وكلتاهما تفيد منح الإجازة بعد

([1]) ديوان طرفة بن العبد اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤ – ٢٠٠٣: ٢٥.

العبارة، ويفهم الباحثان أن عبارة عتيبة تحمل الاستغراب (تأملني) والاندهاش، والحيرة وعبارة عنترة (للهِ أنتَ!) تحمل التعجُّب والتيقُّن.

فالتقديم جرى بالآخر ذي السمات الظاهرية المذكورة آنفاً مشفوعة بالآخر الفرس والسيف والخطى والكساء، ويمكننا استنباط السمات المعنوية كالفروسية والشجاعة وبعد الهمة وما إليها عبر المظهر الخارجي الذي ظهر به (ابن العجلان) شيطان الشاعر الجاهلي طرفه بن العبد؛ لأنَّهُ صاحبه وشيطانه الذي يُمثلُه فنّاً وسلوكاً وهيأةً وتطلُّعاتٍ.

٣- اللقاء مع شيطان قيس بن الخطيم[١]

«قال لي زهير: إلى مَن تتوقُ نفسُك بعدُ من الجاهليّين؟ قلتُ: كفاني مَن رأيتُ، اصرفْ وجه قصدنا إلى صاحب أبي تمّام. فركضنا ذات اليمين حيناً، ويشتدُّ في إثرِنا فارسٌ كأنّهُ الأسدُ، على فرسٍ كأنّها العُقاب، وهو في عدوه ذلك يُنشدُ:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنةَ ثائرٍ، لها نَفَذٌ، لولا الشُّعاعُ، أضاءها[٢]

فاستربتُ منه، فقال لي زهير: لا عليك، هذا أبو الخطّار صاحبُ قيسِ ابن الخطيم. فاستبى لُبيّ من إنشاده البيت، وازددتُ خوفاً لُجرأته، وأنّنا لم نُعرِّج عليه. فَصَرفَ إليه زهيرُ وجه الأدهم، وقال: حيّاك اللهُ أبا الخطّار! فقال: أهكذا يُحادُ عن أبي الخطار، ولا يُخطرُ عليه؟ قال: علمناك صاحبَ قنصٍ، وخفنا أن نشغِلَك، فقال لي: أنشدنا يا أشجعي، وأُقسم إنك إن لم تَجدُ ليكوننَّ يومَ شَرٍّ. فأنشدتُه قولي من قصيدة:

منازلُهم تبكي إليكَ عَفاءها[٣]

ومنها:

خليليَّ عُوجا، بارَكَ الله فيكُما، بدارتِها الأولى نُحيّ فناءها!

فلم أرَ أسراباً كأسرابِها الدُّمى، ولا ذئب مثلى قد رعى، ثَمَّ شاءها

ولا كضّلالٍ كان أهدى لصبوتي، ليالي يهديني الغرامُ خِباءها

وما هاجَ هذا الشوقَ إلّا حمائِمٌ، بكيتُ لها لمّا سمعتُ بُكاءَها

عجِبتُ لنفسي كيف مُلَّكَها الهوى، وكيفَ استقرَّ الغانِياتُ إباءها؟

---

(١) انظر النص: رسالة التوابع والزوابع: ٩٦-٩٨.

(٢) البيت من قصيدة لقيس بن الخطيم الأوسي، وابن عبد القيس: هو قاتل والد قيس بن الخطيم، ثائر: آخذ بالثأر، النفذ: ما ينفذ من الطعنة، والشعاع الدم المتفرّق المنتشر، اضاءها: فاعلها يعود على نفذ، يقول: لولا الدم المنتشر في هذه الطعنة، لظهر منها النور؛ لأنها نفذت من جانب إلى آخر.

(٣) انظر: القصيدة في ديوان الشاعر، تحقيق شارل بيلات: ١٨-٢٠.

ولو أنّني أنحتْ عليَّ أكارمٌ، ترضَّيتُ بالعِرضِ الكريمِ جَزاءَها
ولكنَّ جُرذان الثُّغورِ رميننـي، فأكرمتُ نفسي أن تُريق دِماءها
إليك أبا مروان[١] ألقيتُ رابياً بحاجة نفسٍ ما حُربتُ خزاءها[٢]
هززتُكَ في نَصري ضُحىً فكأنّني هززتُ، وقد جئتُ الجبال، حراءها[٣]
نقضتُ عُرى عزم الزَّمانِ، وإن عَتا، بعزمةِ نفسٍ لا أريدُ بقاءها

فلما انتهيتُ تبسَّمَ وقال: لَنِعْمَ ما تخلّصتَ! اذهب فقد أجزتُك.

تحليل النص – إضاءة في البنية والأسلوب

وفي هذا يعمد الكاتب الأندَلُسي إلى كسر أفق توقّع المتلقي، لمّا قال له صاحبه: «إلى من تتوق نفسك بعد من الجاهليين؟» والمتلقي يتوقع أن يكون اللقاء المرتقب مع جاهلي ثالث، ولكن تأتي عبارتُه المُدهشة: «كفاني ما رأيتُ، اصرفْ وَجْهَ قصدنا إلى صاحب أبي تمام»[٤] ومتأمل هذا التحوّل يُمكنه أنْ يقرأَ موقفاً نقدياً يتمثل في أنَّ لقاء الأديب بتابعي إمرئ القيس وطَرَفة مُغنٍ عن سواهما، لما فيه من خلاصة الإبداع في الشعر الجاهلي، أي إنّ من قيل عن أشعر العرب، فيُجاب: الملك الضليل والفتى القتيل، وهذا ما توارثه الناس في المحمول المعرفي أجيالاً وحقباً.

بيد أنّ هذا الذي أدهشَ المتلقي لم يبقَ كما أُريد له، وتغير في الحال بوساطة «ويشتدّ في إثرنا فارس كأنَّه الأسد على فرسٍ كأنه العُقاب وهو في عدوه ذلك ينشد:

طعنتُ ابن عبد القيس طعنةَ ثائرٍ، لها نَفَذٌ، لولا الشُّعاعُ، أضاءها[٥]»

بهذا النص المغاير الذي غيرّ وجهة اللقاء وقصدَهُ، وعاد الكاتب سيرته الأولى – مُكْرهاً – إلى أجواء الشعر الجاهلي ومختاراته، وفوجئ بمن يحدو وراءهما ويلقي بيتاً ثأرياً يحمل معاني الطعن النافذ والتشفّي، وأظهر الكاتب فَرَقَهُ من هذا التابع الذي عاتب بشدّة على تخطّيهِ وعدم التصريح عليه «فاستربت منه، فقال لي زهير: لا عليك، هذا أبو الخطّار صاحب قيس بن الخطيم» ولكن زهيراً حيّاهُ مُخفّفاً من غلوائه، فقال أبو الخطّار متسائلاً: «أهكذا يحاد عن أبي

---

(١) أبو مروان: أي الوزير أبو مروان ابن الجزيري، وكان بينه وبين ابن شُهيد مُساجلات شعرية.
(٢) خزاءها: على مدّ المقصور: شدّة حيائها.
(٣) حراءها: جبل بمكة.
(٤) رسالة التوابع والزوابع: ٩٦.
(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

الخطّار ولا يُخطر عليه؟» واعتذر له زهير وبعدها طلب أبو الخطّار من ابن شُهيد الإنشاد مهدداً إيّاه بلزوم الإجادة «انشدنا يا أشجعي، وأُقسم إنك إن لم تَجدُ ليكونَنَّ يومَ شَرّ». وهنا خطابٌ مغايرٌ، إذ ابتدع الكاتب معنىً لصالح ما يجيء به، فاشترط الإجادة سبيلاً للنجاح وبعدهما يكون المجهول (الشرّ) وربما أهونه حجب الإجازة والاخفاق في الأختبار، وبعد الإنشاد تبسَّم الجنّي الناقد وأعجبه حُسن تخلص ابن شُهيد (لنِعمَ ما تخلَّصت به) ويجاز الكاتب في هدي عبارة أبي الخطار «اذهبْ فقد أجزتك».

المبحث الثاني

آليات رسم الشخصيات وتحليل رموزها

توطئة:

أسلوب تقديم الشخصية يعني بناءها أو رسمها، أي: إظهار ملامحَها الظاهرية وسماتها الباطنية، من مستويات ثقافية، وسلوكية، وتطلعات، ونزعاتٍ وانفعالات وميولٍ واتجاهات[1].

فرسم الشخصية هو كيفية تقديمها، وهذا التقديم يستندُ إلى الوصف ولاشك أنَّ هذا الوصف يرتكز عبر آليتين اثنتين: الأولى أن تُقدَّم الشخصية خارج الأحداث في موقع قريب منها.

إنّ أهمية تقديم الشخصية في مثل هذا الجنس الأدبي لا يمكن اغفالُه؛ فهو المرتكز الذي ترتكز عليه الأحداث في العمل الأدبي الفني، ويشدّ إنتباه المتلقي، فضلاً عن أنّه يرفع كفاية تصوير ما يتصل بالأفكار، وتنامي الأحداث المرتبطة بشخصياتها.

فتقديم الشخصية لا يُمكن حصرُهُ بالملامح الظاهرية والسمات الخفيّة، بل قد تمتدّ إلى السمات المعنوية التي لا يمكن الوصولُ إليها عبر القراءة العجلى على شاكلة الكرم والبخل، والشجاعة وغير ذلك.

وقد تكون السمات من قبيل المكانة الوظيفية والعلمية، والاجتماعية، بل ويمكن أن تُرسم الشخصية بما يُعزّزُ سلوكها وأداءها في الأحداث والصراعات والمواقف، كالاستعانة بالأسلحة، على شاكلة الفرس، فضلاً عن أهمية المكان، والنسب والكنية في هذا التقديم.

بيد أنّ أسلوب التقديم يتفاوت من منشئٍ إلى آخر، وهذا – بحدّ ذاته – يُسهمُ في الإحاطة بصياغة نمط الشخصية، على صعيد الشخصية الثابتة أو النمطية التي تأخذ مساراً واحداً ولا تخالف المسار الذي رسمه الراوي.

---

(1) يُنظر: الشخصية في قصص الأمثال العربية – دراسة في قصص الأمثال العربية – دراسة في الأنساق الثقافية للشخصية العربية، ناصر الجميلات: ٤٣٤.

أما الشخصيّة المركبة فقد تخالف السماتِ التي حددها الراوي، فضلاً عن الأثر الجمالي الذي يُحدثه التقديم الفني على صعيد الإيحاء والتأثير، وسيرى الباحثان أنّ اختيار المنشئ لهذا النوع من المكان غير الأرضي (أرض الجنّ) يشكّل اختياراً موَّفقاً.

آلية رسم الشخصية القصصية

توطئة

مرَّ بنا لقاءُ الأديب ابن شُهيد الأندلسي بشيطان امرئ القيس في أثناء رحلته الخيالية في رسالة – التوابع والزوابع –.

وغنيٌّ عن البيان أن الكيفية التي رسم بها الأديب الأندلُسيّ شخصياته في عموم الرسالة، مختلفة تماماً عن كيفية رسم الشخصيات في القصص الأخرى، ذلك أنّ طبيعة هذه القصة التي يسيّرها الخيال العميق، فمنذ البدء اخترع الأديب عنواناً مثيراً وموحِياً بعجائبية الأحداث والمشاهد وغرائبية حواراتها، إذ إنَّ (التوابع والزوابع) مفردتان محاطتان بدلالة من عالم الجنّ، فالتابع هو الجنّي الذي يتبع الإنسان أينما اتجه، وكذلك الزوابع من معانيها رئيس الجن، لذا فإنَّ عتبة النصّ أي العنوان مهّد للدخول إلى عالم ابن شُهيد الخيالي، ومرّ بنا أنّ شخصيّات عمله الأدبي الخيالي، أغلبها ليست إنسيّة، فهي – في الغالب – من الجن أو حيوان الجنّ، فضلاً عن الأماكن والأجواء المفارقة لما تألفُهُ في عالمنا الإنسي.

وفي هذا القصة الخيالية بدأ الراوي وهو ما يمثّل الأداة الوظيفية الدالة[1]، يمثلُه منشئ هذا العمل الأدبي ابن شُهيد نفسُهُ، فهو مَن بنى الشخصية وأجرى على ألسنتها الحوارات المثيرة، وحاك الأحداث المرتبطة فالشخصيّات الغريبة بما أوتي من ملكة الخيال والفطنة مستثمراً ما كان مستساغاً في المحمول المعرفي العربي الأسطوري من أن لكلِّ شاعرٍ شيطاناً يُلهمه الشعر – كما نوهنا بذلك – في مطلع البحث.

ويمكن الوقوف باختصار على كيفية رسم هذه الشخصيات بعد حصرها بطائفتين:

أ– الشخصيات البشرية:

ليس في القصة سوى ثلاث شخصيات بشرية، هي شخصية المنشئ نفسه ابن شُهيد، وشخصية صديقه الذي كنّاه أبا بكر الذي تساءل معجباً ببلاغة ابن شُهيد صديقه (أنه كيف أوتي الحكم صبيّاً، وهز بجذع نخلة الكلام فاساقط رطباً جنيّاً)[2] وقد قُدّم أبو بكر هذا التقديم الذكي ليكون تمهيداً لابن شُهيد ليروي أحداث قصته ومما يؤكد هذا قوله: «... فأما وقد قلتها أبا

(1) يُنظر: الراوي، الموقع والشكل، (بحث في السرد الروائي)، يمني العيد: ٧.

(2) رسالة التوابع والزوابع: ٨٨.

بكر فاصغِ أُسْمِعْكَ العَجب العُجابَ»[١] والعَجب العُجاب قصد به ما أحتوته قصته من عجائبية المشاهد والأجواء والحوارات التي وقعت له صحبةَ جنّيه (زهير بن نمير) في أرض الجنّ وما لقيَ من شياطين الشعراء وتوابع الكتاب وحيوان الجن.

وثمة شخصية بشرية ثالثة تظهر من قوله: «مات من أهواه...» وهي الفتاة التي أحبها وأراد أن يرثيها فلم يستطع فكان الحديث عنها وعن محاولة رثائها سبباً في تعرّف ابن شُهيد على الجنّي (زهير بن نمير).

بيد أن الكاتب لم يذكر شخصية أبي بكر، الذي وُجهت إليه الرسالة الّا في صدر الرسالة ثم سكت عنه سكوتاً تاماً، ما يجعلنا نعتقد بأنها شخصية هامشية أو ثانوية انطلاقاً مما تؤديه من وطيفه في عموم القصة على عكس الشخصية الرئيسة أو الأساسية وفي هذا الصدد يقول باحث معاصر «فبعضها (أي الشخصية) قد تكون وظيفته هامشية الا يتعدى حضور موقف جماعي أو التلفظ بكلمة الحوار أو ما شابه ذلك... وبعض الشخصيات قد تكون لها وظيفة أكثر أهمية من ذلك، فهي تتمتع بحضور لكن غير واضح، وثمةَ مَنْ تتمتع بحضور أقوى من سائر الشخوص، وتنصب عليها اهتمامات الراوي، وتكثر الإشارة إليها سواء عن طريق الضمائر أم بذكر كثير من أعمالها أو بالتذكير الدائم بها وبأنها السبب في الكثير مما يجري من وقائع»[٢].

ب- الشخصيات غير البشرية – الجني والشيطان والتابع وحيوان الجن:

ونعود إلى النصّ نفسِه لنقع على أُسلوب تقديم الشخصية في هذا النص

١- التقديم بالآخر غير البشري (الجنّي)

فثمة آلية مزدوجة في هذا التقديم الذي مرّ بنا في النص، هي التقديم بالآخر (الجنّي) (عتيبة بن نوفل) الذي بدوره غدا راوياً عليماً قدّم شخصية امرئ القيس بالملامح الخارجية الظاهرية: فارس، مستعيناً بالآخر الفرس (فارس على فرس شقراء كأنها تلتهب) ثم يستغرق بالملامح الظاهرية المتكئة على الحركة المؤدية إلى الانفعال والتأثر والعُجب «فتطامح طرفه واهتزَّ عِطفُهُ وقبض عنان الشقراء وضربها بالسوط...» وفضلاً عن هذا التقديم بالملامح الظاهرية والاستعانة بالآخر الفرس، والصعدة والسوط، والعنان، فثمة سمات معنوية تتراءى من هذه الملامح والهيأة، كالشجاعة، والعزم والانفعال بالمثيرات الحاثة على قول الشعر.

(١) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) بنية النص الروائي، إبراهيم خليل: ١٩٨-١٩٩.

فالراوي زهير بن نمير استطاع ان يقدم شخصية امرئ القيس عبر تابعه (عتيبة بن نوفل) الذي مثل شخصيته الواقعية والفنية وسلك سلوكه وتقمّص حركاتِه وأنشد أشعاره بوصفه صنواً له وأصدر حكماً نقدياً تمثل بإجازة الأديب الأندلسي ابن شُهيد.

٢- أُسلوب تقديم الشخصية القصصية في حوار شيطان طَرَفة بن العبد

وبمثل ما مرَّ من آلية تقديم شخصية الشاعر الجاهلي امرئ القيس بواسطة الآخر غير البشري (عتيبة بن نوفل) الذي ظهر بسماته الظاهرية، فضلاً عن الآخر الفرس وغيرها وهي ملامح ظاهرية، استطعنا أن نستشف الملامح المعنوية عبر هذا التقديم المزدوج الآليات، بمثل هذا أمكننا أن نقف على أُسلوب رسم شخصية الشاعر طرفه بن العبد، إذ يجري تقديم هذه الشخصية الأدبية بوساطة الآخر غير البشري، إذ جاء هذا التقديم بالآخر مصحوباً بالسمات المُعرِّفة بشخصية طرفة بن العبد ولعلّها مستنبطة من قراءة ابن شُهيد لأثره الأدبي (شعره) وسيرته، فجرى التقديم بالملامح الظاهرية والهيأة والفرس والسيف والخطّي والكساء، فضلاً عن تقديمه بتابعه عنترة بن العجلان «فبدا إلينا راكب جميل الوجه، قد توشّح بالسيف واشتمل عليه كساء خزّ، وبيده خطّي، فقال مرحباً بكما، واستنشدني فقلت: الزعيم أولى بالإنشاد فانشد:

لِسُعدى بِجِزَّانِ الشُّريف طُلُول

حتى أكملها، فأنشدتُه من قصيدةٍ:

أمِن رسمِ دارٍ بالعقيقِ مُحِيلِ»

٣- أسلوب تقديم الشخصية القصصية في لقائه مع شيطانه قيس بن الخطيم

في تقديم شخصية الشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم يتّبعُ الراوي أُسلوباً آخرَ مفارقاً لتقديم الشخصيتين المذكورتين آنفاً، شخصية امرئ القيس، وشخصية طرفة بن العبد، إذ إنّ الراوي هذه المرة – لم يُرد أن يلتقي هذه الشخصية، إذ طلب من تابعه أن يمضي به إلى تابع أبي تمام الطائي، بدلالة قوله بعد حصوله على الإجازة من شيطان طرفه بن العبد (ابن العجلان) «فقال لي زهير: إلى مَن تتوقُ نفسُك بعدُ من الجاهليّين؟ قلتُ: كفاني مَن رأيت، اصرفْ وجه قصدنا إلى صاحب أبي تمّام. فركضنا ذات اليمين حيناً»[١] وبينما هما في طريقهما إلى تابع أبي تمام، إذ فُوجِئا بمن يشتدّ في اثرهما ويعاتبهما على مجاوزته وتخطّيه، والحياد عنه، وعدم التعريج عليه، فاضطرّ إلى التوجّه إليه.

وقدم الكاتب القدير ابن شُهيد هذا التقديم المفارق الذي كسر فيه أفق توقع النمطية في تقديم الشعراء بوساطة الآخر الجنّي، وقد آزره في هذا التقديم لغته الطيّعة وأسلوبه الأخّاذ وتفاعُلُهُ مع سياق أحداثه في عالمِه الخيالي.

---

(١) رسالة التوابع والزوابع: ٩٦.

ونلحظ في ضوءِ خطابه النثري الذي صوّرَ هذا التقديم بالآخر الجنّي، أن التابع (أبا الخطّار) قد تقمَّصَ شخصية الشاعر قيس بن الخطيم وأنشد بيتاً من أبياته الذي يُفهم منه الشدّة والتذكير بجرأة الشاعر وبأسِه، فضلاً عن الملامح الجسدية التي قدمها التابع (فارسٌ كأنّه الأسد، فضلاً عن مكملات الفروسية (على فرس كأنها العُقاب) وغني عن البيان أن هذا التقديم كالتقديمين السابقين قد جرى بحوار مكثَّف زاد من تماسك السرد، وعزّز قدرته على التأثير بالمتلقي وإدهاشه وشدّ انتباهه.

إذن كان تقديم الشعراء الجاهليين في هذه الرحلة الخيالية مزدوجَ الآليات، فثمة تقديم بالآخر الجنّي (غير البشري) عَرَضَهُ الراوي (المنشئ) مشفوعاً بالملامح الظاهرية مُعزّزاً بالآخر (الأسلحة) والفرس فضلاً عن الملامح المعنوية المستنبطة من الهيأة والحركة والحوار، واجتزاء بيت من أبيات الشاعر وتقديمه بصوته الأصيل بغية معارضتها من قبل الراوي الخارجي (المنشئ) بطل هذه القصة الخيالية.

٢- تحليل رموز الشخصيات

تقديم:

وقفنا بإيجاز شديد عند اللقاءات الثلاثة المُدهشة، وتأملنا لغة الحوار التي صاغها الكاتب القدير، وعبر اطلاعنا على ما كتبه الدارسون عن هذهِ القصة الخيالية التي دارت أحداثُها في أرض الجنّ، إذ التقى بطلُ القصة المنشئ نفسُهُ ابن شُهيد – برفقة جنّيهِ زهير بن نمير – شياطين الشعراء وتوابع الكتاب وحيوان الجنّ، وعبر اطلاعنا أقنعتنا قراءتُنا وما كتبهُ الدارسون عن دلالات رموز الشخصيات – الشخصيات (غير البشرية) – أي ما علاقة أسم الشخصية أو كنيتها بالشاعر أو شعره أو بالأديب وانتاجه النثري.

فلو عدنا إلى الشخصية غير البشرية الأولى، ونعني بها شخصية تابع الأديب المنشئ ابن شُهيد وهو: زهير بن نمير، فلم اختار منشئ القصة الخيالية هذا الاسم دون غيره؟ وما دلالتُه؟ وما قصديتُه من هذه التسمية؟ ولعلَّ في هذه التسمية ما يشير إلى معنى (الزُّهر) ومشتقاته، و (زهير) من البياض والانفتاح – انفتاح الأسارير، و (نمير) من (التنمّر) والقدرة على المناورة وتقليب الأمور على أوجه عديدة، وما إلى ذلك.

أمّا الشخصية الرئيسة في هذا اللقاء فهي شخصية شيطان امرئ القيس، وهو: (عُتيبة بن نوفل) فما الذي تعنيه هذه التسمية وما صلتُها بالشخصية الرئيسة؟ شخصية الشاعر امرئ القيس، لقد سُبقنا في التوصل إلى ما تعنيه هذه التسمية[١]، فعُتيبة في اللغة من العتوب، والعتوب: تعني الأرض البكر، التي لم تُزرعُ، ولعلَّ في اختيار هذه التسمية

(١) يُنظر: البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع، عبد العزيز شبيل، حوليات الجامعة التونسية" ١٩٨٤.

صلةً بشعر امرئ القيس، إذ إنّه أمير الشعراء، وأولُ من بكى وأبكى من مَعَه، وكان أحسنَ طبقته تشبيهاً، أي أنه أول مُبدعٍ في الشعر العربي وقد تبعه الشعراء ونهجوا نهجه، وفعلاً كان أولَ من وصلنا نتاجه الفنّي ناضجاً مكتملَ الصياغة، ولهذه الأولوية صلة بالمعنى اللغوي لـ(عُتيبة)، إذن ابن شُهيد الأندلُسي لم يأتِ بهذه التسمية اعتباطاً، فمرجعيته الأدبية أتاحت له أن يطّلعَ على أدقّ التفاصيل المتصلة بالشاعر وشعره، لذا خصص هذه المفردة لتكون أسماً لجنّي امرئ القيس.

أما (نوفل) فهي في اللغة بمعنى العطاء، ومنها النوافل جمع نافلة، والعطاء ينطبق على شخصية امرئ القيس سيرةً، ومذهباً فنّياً، وكلاهما فيه معنى العطاء.

فالتسمية عُتيبة بن نوفل على، وفق هذا التوجيه الذي سُبقنا إليه، لهي غايةٌ في دقة الاستنباط وملاءمة الرحلة الخيالية التي كتبها ابن شُهيد الأندلسي مُصَوِّراً عالمه الخيالي الذي ألَّفه منطلقاً من الواقع والمحمول المعرفي المسوّغ لقبول المتلقي بمجريات قصته القائمة على استحضار توابع الشعراء والكتاب ومقابلتهم والاستماع إلى قطع من فنهم الشعري والنثري ومساجلتهم وانتزاع الاعتراف منهم بفنه الأدبي بغية الحصول على الإجازة منهم.

أمّا اللقاء الثاني لشيطان الشعراء الجاهليين فهو اللقاء مع شيطان طرفه بن العبد، وحَري بنا أن نتأمل تسمية هذا الجنّي (عنترة بن العجلان)، ووجهة التسمية أنَّ (العجلان) في اللغة من العَجَلة – ضدّ البطء – وهذا له صلة بسيرة طرفة، إذ استعجل أمره وحمل الكتاب الذي فيه الأمر بقتله، فقُتل وعمرهُ ستٌ وعشرون سنة، فهو الفتى القتيل كما اشتُهر عنه، فالتسمية مُنبثقة عن سيرة الشاعر وتعجُّلِه الذي أودى بحياته.

أمّا رمز تسمية تابع قيس ابن الخطيم، فهو (أبو الخطّار) ولعلّ معاني (أبي الخطّار) تتصل بـ(خَطَرَ – يَخطَر) الحضور والمرور كان يُقال: خَطَر ببالي.

وإذ تأملنا توابعِ الشعراء الجاهليين الذين رسم شخصياتهم الكاتب، نجد أن هؤلاء أظهرهم الكاتب فرساناً، فتابع امرئ القيس «فارس على فرس شقراء كأنّها تلتهب»[١] وتابع طرفة بن العبد «راكب جميل الوجه، قد توشّحَ بالسيفِ، واشتملَ عليه كساء خزّ، وبيده خطّي»[٢] وتابع قيس بن الخطيم «فارس كأنّه الأسد، على فارسٍ كأنّها العُقاب»[٣].

---

(١) رسالة التوابع والزوابع:

(٢) المصدر نفسه:

(٣) المصدر نفسه:

فما الذي يُفهمُ من هذا التقديم بالفروسية؟ وما هذا التوقُ إلى عرض الشخصيات الأدبية فرساناً هيأةً وسلوكاً وشعراً؟ بوساطة الآخر غير البشري (الجنّي) أو الشيطان، وهو الراوي المشارك الذي استنطق شياطينهم فحاوروا الراوي المنشئ ابن شُهيد.

إنّ إلحاح الكاتب الأندلسي القدير ابن شُهيد على هذا النوع من التقديم وعنايته به هيأةً وسلوكاً وسماتٍ معنوية يفسِّرُ لنا حرص ابن شُهيد على تقديم يلائم البيئة الجاهلية – بيئة الفروسية العربية الأولى–، ويمثل هذا التقديم أيضاً رغبة ابن شُهيد في العودة إلى أجواء الفروسية التي أصبح المجتمع الأندلسي بأمس الحاجة إليها، إذ بفقدانها فقد المجتمع الأندلُسي هيبتَهُ وتماسكُه وغدا نهباً للنزاعات السياسية وتكالب القوى الخارجية والداخلية فتصدّع أساسه وتهدَّمت أركانه وفي هذا المعنى يقول: باحث معاصر: «إنّ إلحاحَ ابن شُهيد على الحوار من إعلاء قيم الفروسية العربية، وابقائها عاملةً، قد يدعونا إلى تفسير هذه الظاهرة التي تسيّدت معظم المقاطع النثرية لقصته الرائعة هذه (يعني التوابع والزوابع) وقد يُعزى هذا الإلحاحُ على محاورة الفرسان، إلى تشبُّث ابن شُهيد بالفروسية، وتطلّعه إليها، التي لولاها لما وُجِد المجد العربي، وبغيابها – كما أرى – فقد المجتمع الأندلُسي هويته القومية، وتخبط في فوضى مُرعبة، فافضى إلى تلك النكبات التي قضَّتْ مضجعَ الشاعر ابن شُهيد كفتنة قُرطبة وسواها»[١].

(١) فاعلية التعبير الحواري في شعر ابن شُهيد الأندلسي، (بحث) د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي: ٢٨٢.

الخاتمة

بَعْدَ أن عاش الباحثان مع قصة (التوابع والزوابع) للأديب الأندَلُسيّ ابن شُهيد (ت ٤٢٦هـ) أيّاماً معاينةً وتأمُّلاً، فضلاً عن اطلاعهما على ما كتبه الدارسون، القدماءُ والمحدثون الذين تناولوا هذا الأثر الأدبي المائز، أمكننا أن نُشير إلى أهمِّ النتائج التي توصلا إليها:

١- أظهر الكاتبُ الأندلُسي قُدرة فائقة في تقديم نصٍّ قصصي خيالي ذي بنية متماسكة وأسلوبٍ رائعٍ ولغةٍ طيّعة، موشّحة بالتفاعلات النصيّة مع التراث المشرقي، والجمع بين النثر والشعر في أنفس التعابير وأقربها للمتلقي.

٢- تتسيّد في النصّ عجابيئة المشاهد والأحداث التي تتشكّل تشكُّلاً سردياً قادراً على الإيحاء وإدهاش المتلقي.

٣- تُلحظُ فاعلية التعبير الحواري الذي مال إليه الكاتب، بل عوّل عليه في كثير من الأحيان مؤثراً الصيغ اللغوية المنبئة بتفضليه الحوار، على شاكلة: صاح، صرخ، وقال ومشتقاتها، ولاحظنا الصلة الوطيدة بين ما عليه الكاتب ابن شُهيد من عاهة الصمم وشدّة ميله للحوار.

٤- جرى تقديم الشخصيات الأدبية الجاهلية بآليات مزدوجة، إذ استُعين بالآخر (غير البشري) الجنّي أو الشيطان أو التابع، فضلاً عن الملامح الظاهرية الهيأة وملحقاتها (الفرس، الزي، الأسلحة)، وحركات الشخصية وانفعالاتها ورغبتها في التعالي والعُجب، والملامح الباطنة كالشجاعة والإقدام والفضائل الموائمة للفروسية العربية، ودلالات الحوار المكثفة.

٥- ارتبطت رموز الشخصيات – شخصيات الشعر الجاهلي – بما عُرف عن سِيْرِهم ومذهبهم الفني، فجاءت معبّرةً عن ذلك أدقَّ تعبير.

٦- استطاع منشئ الرسالة أو القصة الخيالية (ابن شُهيد) أن يوهِمَنا وبمؤازرة الراوي المشارك (زهير بن نمير) بواقعية أحداثه ومشاهده وأجوائه على الرغم من عجائبية الأحداث والمشاهد والسجالات واستحضار الشخصيات الراحلة منذ قرون واختراع اسماءَ وكنىً رامزه لهم.

٧- لقد كان لِمَلِكة الخيال أبلغ الأثر في تحقيق ما يصبو إليه كاتب هذه القصة التي غَدَت معلماً بارزاً من معالم أدبنا العربي.

المصادر والمرجع

١. القرآن الكريم (جَلَّ مَن أنزَلَهُ).
٢. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، الدكتور أحمد هيكل، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م.
٣. الأدب العربي في الأندلس – تطوّره، موضوعاته، وأشهر أعلامه، الدكتور علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٩م.
٤. بنية النصّ الروائي، إبراهيم خليل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار البيضاء للعلوم، ناشرون، بيروت، ش. م ل، ٢٠١٠م.
٥. تاريخ الأدب الأندلسي – عصر سيادة قرطبة، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ١٩٦٩م.
٦. ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف بمصر، سلسلة ذخائر العرب، [د.ت].
٧. ديوان ابن شُهيد الأندلُسي، تحقيق: شارل بيلات، ١٩٦٣م.
٨. ديوان أبي النجم العجلي، الفضل بن قدامة (ت ١٣٠هـ)، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد أديب عبد الواحد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ٢٠٠٦م.
٩. ديوان طرفة بن العبد، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
١٠. الراوي والموقع والشكل، (بحث في السرد الروائي)، يمني العيد، مؤسسة الأبحاث العربية، ش.م، بيروت، ١٩٨٦م.
١١. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسّام الشنتريني، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧، وطبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
١٢. رسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي، صححها وحقق ما فيها وشرحها وبوبها وصدّرها بدراسة تاريخية: الأستاذ بطرس البستاني، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
١٣. الشخصية في قصص الأمثال العربية – دراسة في قصص الأمثال العربية – دراسة في الانساق الثقافية للشخصية العربية، الدكتور ناصر الجميلات، النادي الأدبي بالرياض، ٢٠٠٩م.
١٤. العجائبية وتشكُّلِها السردي في رسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي ومنامات ركن الدين الوهراني – فاطمة الزهراء عطيّة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠١٥م.

البحوث والدوريات

١٥. البنية القصصية في رسالة التوابع والزوابع لابن شُهيد الأندلسي، عبد العزيز شبيل، حوليات الجامعة التونسية، ١٩٨٤م.
١٦. تحليل نصّ من رسالة التوابع والزوابع (إجازة تابع امرئ القيس لابن شهيد)، نادر حقاني، مجلة التراث العربي، إتحاد الكتّاب العرب – سوريا، العدد٧٩، ٢٠٠٣م.

١٧.فاعلية التعبير الحواري في شعر ابن شُهيد الأندلسي (٤٢٦هـ)، د. عبد الحسين طاهر محمد الربيعي، مجلة أبحاث ميسان، المجلد/٧، العدد الرابع عشر، ٢٠١١م.

References

1. The Holy Quran.
2. Andalusian Literature from the Conquest to the Fall of the Caliphate, Dr. Ahmed Heikal, Dar Al Maaref in Egypt, 1971 AD.
3. Arabic Literature in Andalusia - its Evolution, Themes, and its most Famous figures, Dr. Ali Muhammad Salama, The Arab House of Encyclopedias, Beirut - Lebanon, 1, 1989 AD.
4. The Structure of the Narrative Text, Ibrahim Khalil, Publications of Difference, Algeria, Casablanca for Science, Publishers, Beirut, Sh. ML, 2010 AD.
5. The history of Andalusian Literature - the Era of the Sovereignty of Cordoba, d. Ihsan Abbas, House of Culture, Beirut - Lebanon, 1969.
6. Diwan of Imru' Al-Qays, investigation: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, 5th edition, Dar al-Maaref in Egypt, the Arab ammunition series, [No date].
7. Diwan of Ibn Shahid Al-Andalusi, investigation: Charles Pilate, 1963 AD.
8. Diwan of Abi Al-Najm Al-Ajli, Al-Fadl bin Qudamah (died 130 AH), compiled, explained and investigated: Dr. Muhammad Adib Abdel Wahed, Publications of the Arabic Language Academy in Damascus, 2006 AD.
9. Diwan Tarfa bin Al-Abd, taken care of by Abdul Rahman Al-Mustawi, Dar Al-Marefa, Beirut - Lebanon, 1, 2003 AD.
10. Narrator, Location and Form, (Research in Narrative Narrative), Yemeni Eid, Arab Research Foundation, LLC, Beirut, 1986 AD.
11. The Ammunition in the Merits of the People of the Island, Ibn Bassam Al-Shantarini, investigation: Dr. Ihsan Abbas, Dar Al-Thaqafa, Beirut, 1967, and Dar Al-Gharb Al-Islami edition, Beirut, 1, 2000 AD.
12. Risalat Al-Tawab' Wa Al-Wazibah by Ibn Shahid Al-Andalusi, corrected, verified, explained, populated, and published with a historical study: Professor Boutros al-Bustani, Dar Sader, Beirut, 2nd ed., 1996 AD.
13. The Personality in the Stories of Arab Proverbs - A Study in the Stories of Arab Proverbs - A Study in the Cultural Forms of the Arab Personality, Dr. Nasser Al Jamilat, Literary Club in Riyadh, 2009 AD.
14. The Miraculous and its Narrative Form in the Epistle of the Followers and Whistles of Ibn Shahid Al-Andalusi and the Dreams of Rukn Al-Din Al-Wahrani - Fatima Al-Zahra Attia, PhD thesis, Faculty of Arts and Languages, Muhammad Khudair University, Biskra, 2015.

Research and periodicals

1. The Narrative Structure in the Epistle of the Followers and Whistles, by Ibn Shahid Al-Andalusi, Abdel Aziz Shebeil, Annals of the Tunisian University, 1984 AD.
2. Analysis of a Text from the Risalat Al-Tawabe` wa Al-Zawabe` (The Authorization of the Follower of Imru' Al-Qays by Ibn Shahid), Nader

Haqqani, The Arab Heritage Magazine, Union of Arab Writers - Syria, Issue 79, 2003 AD.

3. Effectiveness of Dialogical Expression in the Poetry of Ibn Shahid Al-Andalusi (426 AH), d. Abdul-Hussein Taher Muhammad Al-Rubaie, Maysan Research Journal, Volume/7, Issue Fourteen, 2011.